**/ أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت421ھ) .**

**أ- اللفظ والمعنى :**

إن رجوع البلاغة الى (اللفظ والمعنى ) هو القالب الذي صب فيه العسكري رأيه في البلاغة والتي تبدوا عنده شاملة لهما معا، وإن بدا في كلامه أحيانا ما يشعر بأن القيمة الأساسية إنما هي للصياغة اللفظية. إلا أنه يعني بقيمة الإخراج الفني للنصوص، وإن أي تغيرفي االلفظ يتبعه تغير في المعنى.وسار بهذا الرأي العديد من النقاد، وأغلبهم" يميلون الى التوفيق بين اللفظ والمعنى"(1)، غير أن أشكال هذا التوفيق تساير منطلفات كل ناقد وتلتحم بأصوله .

وقد دارت رحى قضية (اللفظ والمعنى) عند المرزوقي الذي يظهر في بادئ الأمر إهتمامه با(لفظ ) أكثر من اهتمامه با(لمعنى)، وقوله عن الشعر:" هو ما إن عرى من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة، وما خالف هذا فليس بشعر"(2)، فحسن الديباجة اللفظية تجعل الكلام، مقبولا، ولو كان عاريا من معنى بديع، فيكسوه الكلام بحسنه حسنا، يعتاض به عن حسن المعنى"(3)، إذ إنه لم ترد في عباراته إلا إشارة واحدة الى المعنى(4)، في حين يستحضر المرزوقي لهذه المشاكلة موقفين: موقف طلاب المعاني، وموقف أرباب الألفاظ (5).

وتبدو صياغة الكلام لدى أصحاب الألفاظ مراتب يستقيم لكل مرتبة درجة من التّشكيل الفني حسب خواصّ فنيّة هذا التّشكيل نفسه، ويصرح المرزوقي بقوله:" فمن البلغاء من يقول : فقر الألفاظ وغررها، كجواهرالعقود ودررها، فإذا وسم أغفالها بتحسين نظومها وحلي أعطالها بتركيب شذورها، فراق مسموعها ومضبوطها وزان مفهومها ومحفوظها وجاء ما حررمنها مصفى من كدر العي والخطل، مقوماً من أود اللحن والخطأ، سالماً من جنف التأليف، موزوناً بميزان الصواب، يموج في حواشيه رونـق الصـفاء لفظاً وتركيبـاً، قبلـه الفهـم والتـذّ به السمع"(6)، والتركيز فـي هـذه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تاريخ النقد الدبي عند العرب، احسان عباس : 370 .

(2) شرح ديوان الحماسة : 1/ 7.

(3) م . ن : 1/ 7 .

(4) ينظر : م . ن : 1/ 7.

(5) ينظر : م . ن : 1/ 7

(6) م . ن : 1/ 7- 8 .

المرتبة يكون على (التركيب) الذي يضيف إلى الوحدات حسناً بضمها إلى غيرها مع الإلحاح على تجنب الخطأ واللحن.

وفي المرتبة الثانية يقوم النص على (الانتقاء) الدقيق في اختيار الدال المطابق لمدلوله، وتحقيق قدر أعلى من تناسب أقسام النص في مراتبه المختلفة، ويذهب المرزوقي إلى تصنيف من نظر الى (اللفظ والمعنى) الى فريقان منهم : من يعمل بتتميم "المقطع، وتلطيف المطلع، وعطف الأواخر على الأوائل، ودلالة الموارد على المصادر، وتناسب الفصول والوصول، وتعادل الأقسام والأوزان، والكشف عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار أولى، حتى يطابق المعنى اللفظ، ويسابق فيه الفهم السمع"(1)، وفريق يتجاوزالحد الاول؛ ليضيف الى ما سبق بلفظ هو في الإختيار أولى، حتى يطابق المعنى اللفظ ، ويسابق فيه الفهم والسمع (2)؛ لينتهي الأمر في آخر مرتبة إلى إثقال النص بأشكال "من الترصيع والتسجيع، والتطبيق والتجنيس، وعكس البناء في النظم، وتوشيح العبارة بألفاظ مستعارة، إلى وجوه أخَرْ تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع"(3) .

إن تحسين مستويات الصياغة من نظم الألفاظ، أمر مطلوب، مما يجعل خصائص النص الأسلوبية في النص مرتدّة إلى نفسها –إن صح الوصف- في أشكال من البناء المركّز على تناسق الأصوات والتركيب. أما قصد أصحاب المعاني الذين يفضلون أن ينقلوا آثار عقولهم أكثر من أهتمامهم بالشكل ليستفيد المتأمل، فقد صرفوا اهتمامهم الأول إلى المعاني التي يريد البليغ التعبير عنها لذلك يقول المرزفي:" طلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها، وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة ظريفة أو رائقة بارعة وجعلوا رسومها أن تكون قريبة التشبيه، لائقة الاستعارة، صادقة الأوصاف، لائحة الأوضاح... مستوفية لحظوظها عند الإستلهام من أبواب التصريح والتعريض والإطناب والتقصير، والجد والهزل... مبتسمة من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف، محتجبة في غموض الصيان، لدى الامتهان"(4).

والمرزوقي يحكم بين الطرفين ويقر بأن " متى اعترف اللفظ والمعنى فتعانقا وتلابسا متظاهرين في الإشتراك وتوافقا، فهناك ثريا البلاغة "(5)، وهـو بذلك يقـر بأن لا يتم للكلام حسنه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شرح ديوان الحماسة : 1/ 6.

(2) تنظر : م . ن : 1/6.

(3) م . ن : 1/6.

(4) م . ن : 1/7.

(5) م . ن : 1/ 11.

و بلاغته إلا بمشاكلة اللفظ للمعنى عن طريق اجتماع شرف المعنى وتوافقهما، وتآلفهما و"عيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة، ودوام الممارسة "(1)، ومشاكلة اللفظ للمعنى يعنى الملائمة اللفظية في أداء المعنى، وحسن مقدرته الى نقل الفكرة الى المتلقي، وليست الملاءمة إلا جعل اللفظ مقسوما على رتب المعاني، وجعل الغرض الشريف مناسبا للألفاظ الموضوعة لمعان شريفة وإن الغرض الخسيس تناسبه الألفاظ الموضوعة لمعان خسيسة(2)، وللمرزوقي رأي في بنية النص الشعري أدته إليه مقارنته بين النثر والشعر، وتحسّسه خواص الشعر الشّكلية القائمة على الوزن، والقافية، ووحدة البيت الذي ينتج عنه حصر المعنى الشعري في حدود المدى الذي يسع بنيته، مما مكّنه من الوعي بتلازم خاصيتي التكثيف، والغموض في الشعر، لذلك يقول المرزوقي: "وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى، وأن يبلغ الشاعر في تلطيفه، والأخذ من حواشيه، حتى يتسع اللفظ لـه، فيؤديه على غموضه وخفائه، حداً يصير المدرك لـه والمشرف عليه، كالفائز بذخيرة أغتنمها، والظافر بدفينة استخرجها"(3).

وبعد هذا العرض المفصل لخطاب القزويني لا نراه يحلق بعيد عما أقره العسكري من شروط للفظ والمعنى، فقد ملأت "صناعتاه" بدوي هذه المعايير في جل رؤاه مطالبا من اللفظ (جزالتة ) بما فيه من قوة وشدة ومتانة، وألا يكون غريبًا وحشيًا، ولا يكون سوقيًا مبتذلاً، ولا هو من كلام العوام، وغيرها .

أما عيار المعنى عند أبي هلال (الإصابة)، وتوخي الصدق، والحقيقة(4) ، وما هذه المعايير في خطاب المرزوقي من (شرف المعنى وصحته، جزالة اللفظ واستقامته، مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للمعنى حتى لا منافرة بينهما، إلتحام أجزاء النظم وتلائمها مع تخير من لذيذ الوزن) إلا صدى لجهود العسكري في صناعتيه (الشعر والنثر )(5)، لكن المرزوقي جاء بها في نسق تراتبي يعطيها صورتها النظرية الأخيرة، هي" عمود الشعر " .

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شرح ديوان الحماسة : 1/ 11.

(2) ينظر : شرح المقدمة الأدبية : 79.

(3) شرح ديوان الحماسة : 18 – 19.

(4) ينظر : كتاب الصناعتين : 65.

(5) ينظر : م . ن : 55.

**ب - الصناعة الأدبية :**

إن مفهوم الصناعة الأدبية جزءا لا يتجزأ من العملية الأبداعية؛ لكونه قضية احترافية فنية، كباقي الصناعات التي تحتاج الى الحذق، والمهارة ، والدربة.

والأدب عملية واعية أساسها الإختار، والتنسيق، واشارات إلى التهيؤ الفطري، والإستعداد النفسي، وهذا يعيدنا الى عملية الخلق الفني عند المرزوقي إذ أفاد من آراء النقاد السابقين، وبخاصة أبي هلال العسكري، إذ حدد أراءه وأطرها في شكل نظرية واضحة المعالم، وذكر أن أساس بناء النص وإعداده وتجويده يعود إلى سبع قوى أوسمات(1)، وكل واحد منها تتولى بالفحص عنصرا من العناصر التي ينبني عليها، وهي:

**الأولى/** العقل الصحيح والفهم الثاقب، وتختص بالمعنى.

**الثانية /** الطبع والرواية والإستعمال، وتعنى باللفظ .

**الثالثة /** الذكاء وحسن التمييز، وتهتم بالإصابة في الوصف .

**الرابعة /** الفطنة وحسن التقدير، وتتولى المقاربة في التشبيه .

**الخامسة /** الطبع واللسان، وتسعى إلى التحام أجزاء النظم وإلتأمه .

**السادسة /** الذهن والفطنة، وتختص بالإستعارة .

**السابعة /** طول الدربة ودوام المدارسة، وتعني بمشاكلة اللفظ للمعنى .

ويمكننا حصر هذه القوى في (ثلاث):

**الأولى/** تجّمع القوى( الأولى، والثالثة، والرابعة، والسادسة )، وجميعها ترجع ﻟ (فعل العقل).

**الثانية/** تجّمع القوى (الثانية ، والخامسة) في (الطبع).

**الثالثة/**  القوى السابعة (الدربة)

وكل واحدة من هذه القوى الثلاث لها دور متميز في تكوين النص الادبي .

و يقر المرزوقي بوجود) الطبع) و(العقل (في العملية الإبداعية، إذ لا ينفي حضورالعقل؛ فهو المصباح المنير الذي يهتدي به الشاعر إلى المعاني الصحيحة، ويجنبه أن يعرض " الوقوع في الإضطراب الذي يؤثر على عمله، فعيار المعنى عنده هو العقل الصحيح والفهم الثاقب، فإذا انعطف عليه جنْبتَا القبول، والإصطفاء مستأنسا بقرائنه خرج وافيا وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشتـه"(2)، فالعقـل هـو الـمشرف علـى انتـقاء العناصر المناسبة للنـص وتنظيمها. إلا أنـه لـم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ينظر : شرح ديوان الحماسة : 1/ 9-11

(2) م . ن : 1/ 9.

يهمل الطبع – وهو القوة الفطرية الكامنه المدفوعة بالفعل الذهني كما يتضح- فيقول: " وعيار اللفظ : الطبع والرواية والإستعمال، فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها، فهو المختار المستقيم، وهذا في مفرداته وجملته مراعى؛ لأن اللفظة تستكرم بانفرادها، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينا"(1).

إن عياراللفظ المستعمل لصوغ المعنى، مفردا أو مركبا، إذا كان سليما مع ما يوافقه في الحالتين، كان صحيحا. وكذلك إذا كانت أجزاء النص وفصوله سهلة على الطبع يسيرة على اللسان في إلتحامها وترابطها، وكان الوزن متخيرا لذيذ الوقع على الطبع واللسان، كان ذلك مستقيما وصحيحا، يقول: " وعيار إلتحام أجزاء النظم وإلتئامه على تخير من لذيذ الوزن – الطبع واللسان، فما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده، ولم يتحبس اللسان في فصوله، ووصوله، بل استمرا فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال – فذاك يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت، والبيت كالكلمة، تسالما لأجزائه وتقارنا"(2)، أما طول الدربة تختص ببحث مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة إقتضائهما للقافية. و مما سبق أجد أن صنعة الشعرعند المرزوقي تعتمد على:

**أولا/** قوة الطبع .

**ثانيا/** قوة الذهن القادر على حسن إختيار المعنى واللفظ .

**ثالثا/** التوظيف السليم للغة المتأتي من (الرواية) .

**رابعا/** طول التأمل والدربة، قبل إنشاء النص، وفي أثنائه، وعقب الفراغ منه .

وهو في كل ما أعتمد لم يخرج في صناعته عن نهج العسكري التوجيهي وعن خطته التي إرتسمها للأديب في تحديد الضوابط الفنية التي يعول عليها في التعامل مع النص الأدبي، و يتبعها في صناعته، ويضعها نصب عينيه، ويوليها جل عنايته. إذ أراه يتفق مع أبي هلال في إعتماده سلاح النصيحة، ويرى أن توافر هذه الخصال جميعا في النص، يكسبه الحسن والجودة، كما يكسب الصانع (البراعة والإقتدار )عند نقاده، يقول: " فمن لزمها بحقها وبني شعره عليها، فهو عندهم المفلق المعظم، والمحسن المقدم "(3). أما إذا التزم بعضها، فعند ذلك لا يحقق إلا قدرا محـددا مـن التجويـد، يقـول: " ومـن لـم يجمعهـا كـلها فبـقدر سهمته منها، يكون نصيبه من التقدم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شرح ديوان الحماسة : 1/ 9.

(2) م . ن : 1/ 9.

(3) م . ن : 1/ 11.

والإحسان، وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن" (1).

و يتضح لي من قول المرزوقي تأثره بالنقاد القدامى في صنعته و- العسكري- منهم(2)، إذ يشير بصراحة إلى أن جل هذه القوى والخصال مأخوذ بها، ومتبعة نهجها عندهم .

**ثالثا / ابن شهيد(ت426ھ):**

نلحظ في نصوصه النقدية التي عالجت قضية (السرقات الأدبية) تأثير أراء أبي هلال العسكري في معالجاته للمعاني التي تداولها الشعراء، وبيان فضل السابق لهذه المعاني على اللاحق، والموازنة بينهم، فهو يتفق معه في رفع التهمة عن الشاعر باستخدامه لفظة (الأخذ) بدلا من (السرقة)، فيقول في رسالته (التوابع والزوابع):" وحضرت أنا أيضا وزهير، مجلسا من مجالس الجن، فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من المعاني، ومن زاد فأحسن الأخذ، ومن قصر"(3)، مقسماً الشاعر الآخذ على قسمين:

**الأول:** (متفوقٌ)؛ لزيادته في المعنى .

**آلاخر:** (مقصر)؛ لضيق المعنى.

وهو يرى أن الأخذ يكون في المعنى لا في اللفظ ،وقد أعتمد في عمله هذا منهجاً نقدياً قائماً على الموازنة الفنية بين الشعراء ساعيا إلى بيان أفضلية الشاعر المتقدم، متحدثاً عن أخذ بعض الشعراء ممن تقدمهم(4) .

ويحدد ابن شهيد قيمة هذه الزيادة، و تكمن في قدرة الشاعر الفنية والإبداعية على عرض المعنى وإضهاره بالصورة اللائقة، يقول: " مررت بشيخ يعلم بنيا له صناعة الشع، وهو يقول له: إذ اعتمدت معنى سبقك إليه غيرك، فأحسن تركيبه، وأرق حاشيته، فاضرب عنه جملة، وإن لم يكن بد، ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك، وتقوى منك "(5)، أي إنه يحـفز الشاعـر إذا أراد الإفـادة مـن شعـر حسـن التركـيب، دقيـق الصنعـة أن لا يهـتـم أو ينشغــل

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شرح ديوان الحماسة : 1/ 11.

(2) ينظر : كتاب الصناعتين : 159.

(3) تنظر : رسالة التوابع والزوابع : 132، 134، 135.

(4) ينظر : م . ن : 134، 135.

(5) م . ن : 135.

في هاتين القيمتين، وبالتالي يتهأ له فرصه ( الإبداع والإختراع) في المعنى، فيختص به دون غيره ، وإذا إضطر إلى الإفادة منه، عليه تغيير العروض التي قدم بها هذا المعنى .

وهو بآرائه النقدية لا يخرج فيها عن معالجات العسكري لهذه القضية إذ يحث الأديب إلى النظرفي المعاني السابقة، وإستعمال قوالبها، وأطرها؛ للإفادة منها في بناءه الجديد، ولا يقف عند حدود الإفادة فقط، إذ أوجب عليه أن ( يضيف ) الى ما أخذه إضافة تكسبه نوعا من الخصوصية التي تمنحه بعد ذلك حق نسبته إليه، وهو ما نبه اليه – العسكري- الشعراء الذين أخذوا المعاني المطروقة من قبل (1) .